الجـمــع
ودلالته البيانية في الكلام العربي

أ.د.عبد الوهاب محمود الكحلة*

تاريخ التقديم: 2000/8/3 تاريخ القبول: 2000/10/15

إن سبل السمو ببلاغة الكلام والرقي به كثيرة منها مراعاة التقديم والتأخير، والوصل والفصل، والتأكيد والحصر، واستعمال المحسنات البديعية اللفظية منها والمعنوية، وغيرها كثير وكلها قد أفاض الدارسون الكلام فيها.

ومن تلك السبل (حسن اختيار الجمع) وهو ما اخترنا البحث فيه معللين وجه استعماله بما يناسب سياق الكلام اذ لم نجد من شفى النفس حاجتها ممن تطرق في البحث فيه ولا تزال مسائله أشتاتا متفرقات.

وليست الغاية من هذا البحث استقصاء مسائله فذلك مما لا تحيط به صفحات معدودات وإنما اخترناها للعرض من غير إطالة فيها، واقتطفنا أمثلتها من سفر جمعنا فيه مما هو على شاكلة هذا البحث ليتفيأ الباحثون ظلاله فيواصلون البحث فيه.

وقد كشفنا هاهن ا عن أوجه استعمال الجمع وبيان تناسقه مع سياق الكلام وبغية المتكلم، وتخصيصا في آيات الذكر الحكيم للكشف عن إعجازه البلاغي، فقدما كان العربي ينظر في كلامه طويلا يتفحصه ويتمحصه وينقده، إذ لم يكونوا يتلقون الكلام من صاحبه على عواهنه، ولعل هذا كان وراء ما سمي بالحوليات إذ كان الشاعر ينقد نفسه بنفسه قبل غيره ويرقب من يحاججه فيما يقول، ومن ذلك ما حكي عن النابغة الذبياني انه لما عرض عليه حسان بن ثابت قوله:

لنا الجفنات الغر يلمعن في وأسيافنا يقطران من نجدة دما الضحى

---

* قسم اللغة العربية/ كلية التربية/ جامعة صلاح الدين.

قال له: (لقد قللت جفانك وأسيافك)[1].

وهذا ما يبين لنا أن العربي كان يتحسس المعنى، ويتلمس الدقة في التعبير عن مراده، لكي يسمو بقائله إلى البيان الرفيع وتحقيق البلاغة فيه، وهي الغاية التي يرجوها من كلامه.

وتمهيدا للبحث نذكر أن الجمع بأبنيته العديدة بعضها يدل على القلة وبعضها يدل على الكثرة.

وقد اجمع علماء اللغة على أن من الجموع الدالة على القلة جمع المؤنث الصحيح كـ(الجفنات)، وكذا ما كان على زنة (افعل وأفعال وأفعلة وفِعلة) مثل أنفس وأسياف وأغلمة وغِلمة.

وترجع أهمية هذا البحث إلى أمور كثيرة منها أن الأحكام تترتب على الكلام بحسب نوع الجمع، فمن حيث المعنى تختلف دلالة الكلام باختلاف الجمع المستعمل فيه حسب دلالته على القلة أو الكثرة.

ومن حيث اللفظ قرروا أن بناء القلة هو اقرب في معناه إلى المفرد، ويجري عليه كثير من أحكامه، ومن ذاك جواز تصغيره على لفظه فتقول: (أُغَيْلِمة) في تصغير (أغلمة) [2]، كما ورد في الاثر عن ابن عباس رضى الله عنه قال: (بعثنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أغيلمة بني عبد المطلب في جمع بليل) قال ابن الأثير: أُغيلمة تصغير أَغلمة جمع غلام[3].

ومما يثبت دلالة صيغة (افعال) على القلة جواز عود الضمير عليه بلفظ الإفراد نحو قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ** ﴾[4]، فالأَنعام على زنة أَفعال، وهو من جمع القلة وقد عاد الضمير عليه بالإفراد[5].

---

(1) خزانة الأدب، للبغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج8، ص 106.

(2) المقتضب، للمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، ج2، ص 211.

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، المكتبة الإسلامية، ج3، ص 382.

(4) سورة النحل /الآية 66.

(5) خزانة الأدب، ج1، ص 408، وينظر: التفسير الكبير للفخر الرازي، ج 20، ص 64.

ونريد هنا من الجمع ما يختص بالقلة أو الكثيرة في أصل وضعه اللغوي دون ما يغلب على استعماله مجازا مما يقع فيه جمع القلة موقع الكثرة أو ما يقع فيه العكس لعلة لغوية.

وفي ضوء ما قدمناه نتتبع هاهن ا أمثلة لبعض الجموع مما جاء في آيات القران الكريم لنقف على الوجه البلاغي ودقة البيان في تعبيره.

ومن ذلك الفرق بين استعمال ﴿**خَطِيئَاتِكُمْ**﴾ الدالة على القلة، و﴿**خَطَايَاكُمْ**﴾ الدالة على الكثرة.

ففي قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[6] فههنا اسند الفعل (قيل) للمجهول فلم يسمي الفاعل صراحة، لذاك ناسب أن يقرنه بلفظ دال على القلة وهو ﴿**خَطِيئَاتِكُمْ**﴾.

أما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**﴾[7].

فقد ذكر الفاعل صراحة في (قلنا) دالا على نفسه سبحانه وتعالى، فناسب ان يقرن مع هذا الأخبار ﴿**خَطَايَاكُمْ** ﴾ الجمع الدال على الكثرة، وهو ما يليق بكرمه وسعة مغفرته للخطايا الكثيرة[8].

ولمناسبة هذا المقام ذكر (رغدا) ههنا، ولم تذكر هناك، وجاءت الواو في قوله تعالى: ﴿ **وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**﴾ لتدل على الحال والاستمرار في هذا الكرم من الله تعالى ولم تذكر الواو في الآية الأولى.

ومن سنن العرب في كلامها (التعادل) و(الموازنة بين القلة والكثرة). وهذا يتضح جليا في (العدد)، فحيثما يرد العدد القليل يذكر معه المعدود بصيغة الجمع نحو قوله تعالى: ﴿ **سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ**﴾[9].

---

(6) سورة الأعراف /الآية 161.

(7) سورة البقرة /الآية 58.

(8) درة التنزيل وغرة التأويل، للخطيب الاسكافي، منشورات دار الآفاق، بيروت، ص 14.

ومع العدد الكثير يذكر المعدود بصيغة المفرد، نحو قوله تعالى ﴿**تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً**﴾[10].

ويتضح التعادل كذلك في غير العدد، فمع الجمع الدال على الكثرة مثل (الجذوع) يعود عليه الضمير بالأفراد فيقولون (الجذوع انكسرت).

ومع الجمع الدال على القلة مثل (الأجذاع) وهو على زنة أفعال يعود عليه الضمير بالجمع فيقولون (الأجذاع انكسرن) [11] ومثله قول حسان بن ثابت المتقدم:

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى و أسيافنا يقطرن من نجدة دما

فـ (إن الجفنات) جمع الدال على القلة وللتعادل بين القلة والكثرة أعاد عليها الضمير الدال على الجمع في قوله: (يَلمعنَ) ولم يقل (الجفنات تَلمعُ). ومثله (أسيافنا) على زنة (أفعال) وهو يدل على القلة كذلك فأعاد عليه ضمير الجمع في (يقطرن)، فلم يقل (الأسياف تقطر) بالأفراد وهو بهذا يفضل على قول النابغة في قوله[12]:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

فبنى النابغة كلامه على خلاف سنن العرب في قوله (سيوفهم بهن فلول) ولو اتبع التعادل لوجب أن يقول (سيوفهم بها فلول) لان السيوف جمع كثرة، فهي على نمط ما ذكرناه من نحو (الجذوع انكسرت) ولا يقال (انكسرن).

وفي ضوء هذا السنن القويم من (التعادل والموازنة بين طرفي الكلام) يتبين لنا بوضوح الوجه البلاغي في الفرق بين (سبعة أبحر) و (سبعة بحور).

---

(9) سورة الحاقة /الآية 7.

(10) سورة ص /الآية 23.

(11) أدب الكاتب، لابن قتيبة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ص 249.

(12) خزانة الأدب، ج3، ص 327.

ففي قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ**﴾[13].

فلتحقيق التعادل بين القلة والكثرة جاء بـ (أبحر) وهو جمع للقلة ليتسق مع كلمة ﴿ **سَبْعَةُ**﴾ المستعملة عند العرب في الغالب للدلالة على الكثيرة الكاثرة غير المحدودة ولا المعدودة، وهذا المعنى هو المراد من الآية وهو المناسب لصفة علمه سبحانه وتعالى الواسع، إذ لا تحيط به البحار لو صارت مدادا لكلماته ولو كثرت، فتحقق الاتساق في قمته في قوله ﴿ **سَبْعَةُ أَبْحُرٍ** ﴾، ولو قيل (سبعة بحور) بالجمع الدال على الكثرة لتعين من العدد (سبعة) مفهومه المحدود ولا نتقى المعنى الدقيق الذي تشير إليه الآية.

ثم إن من تمام المعنى في بيان سعة علمه سبحانه وتعالى قوله: ﴿ **مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ**﴾ فجاء بجمع المؤنث الصحيح وهو يدل على القلة، ولم يقل (ما نفد كلام الله) للإيذان بان كل ما ذكر من البحار الكثيرة لو صارت مدادا لا تفي أن تحيط بالقليل من كلمات الله، فكيف بكلام الله الواسع وهذا من دقائق وجوه البلاغة في أي الذكر الحكيم.

ومما هو على هذا السنن قوله تعالى: ﴿ **تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ**﴾[14].

فحيث أراد بالعدد ههنا مفهومه المحدد جاء معه المعدود بـ (السنين) وهو جمع دال على الكثرة، ولو قال (سبع سنوات) بجمع القلة لا نتقى المعنى المراد ولتطرق في العدد الاحتمال إلى غير مفهومه المحدد، فتدبر.

ولعل من أسمى ما يتناسق مع معنى الكلام في آيات القران الكريم استعمال (الأعين) و(العيون).

فاستعمل (العيون) وهو جمع دال على الكثرة للماء خاصة كقوله ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ** ﴾[15] وقوله تعالى ﴿**أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ(133)وَجَنَّاتٍ**

(13) سورة لقمان /الآية 27.

(14) سورة يوسف /الآية 47.

وَعُيُونٍ ﴾[16] وقوله تعالى: ﴿ **وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا** ﴾[17] وكلها تدل على ينابيع الماء فناسب إتيان (العيون) للدلالة على كثرته وتذكيرا بنعمة الله تعالى الواسعة.

وأما (أعين) فهو على زنة (افعل) لجمع القلة فاستعملها في إرادة حاسة البصر خاصة كقوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ**﴾[18] وقوله تعالى ﴿ **وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ** ﴾[19] وقوله تعالى ﴿ **تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنْ الدَّمْعِ**﴾[20] وقوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ** ﴾[21] فأتى بجمع القلة هاهنا للدلالة على الإبصار وهو المناسب لهذا المعنى وذلك أن للمرء عينين، ومهما تكاثر الناس فان أبصارهم محدودة ومعدودة ولا يكاد يتخلف عدها بخلاف الينابيع وتدفق المياه منها، وهذا جانب آخر من جوانب البلاغة في آيات الذكر الحكيم.

أما كتب اللغة فقد أغفلت تفسير هذا الفرق بين الجمعين، فصاحب لسان العرب أورد في مادة (عين) الجمعين لكلا المعنيين، فقال: (العين حاسة البصر والرؤية والجمع أعين والكثير عيون) وقال صاحب القاموس وهو يعدد معانيها (وينبوع الماء والجمع أعين وعيون) كذا ذكروا الجمعين من غير فرق بينهما ولم ينبهوا على الفرق في استعمالها في الكتاب العزيز.

وهاك مثلا آخر هو في قمة (التعادل بين القلة والكثرة) مما هو على سنن كلام العرب حيث يتضح بجلاء في قوله تعالى: ﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ** ﴾[22] فجاءت (قروء) وهي جمع كثرة مع العدد القليل (ثلاثة) للتأكيد

---

(15) سورة الحجر /الآية 45.

(16) سورة الشعراء / الايتان 133– 134.

(17) سورة القمر /الآية 12.

(18) سورة الأعراف /الآية 116.

(19) سورة الأعراف /الآية 71.

(20) سورة المائدة /الآية 83.

(21) سورة الأحزاب /الآية 51.

(22) سورة البقرة /الآية 228.

على تحديد مدة العدة، وان المراد من العدد المذكور معناه ومفهومه المحدد لا يتجاوزه.

ولا يتحقق هذا المعنى لو قال (ثلاثة أقراء) لان (أقراء) يدل على القلة والعدد ثلاثة قليل، فإذا اجتمع في الطرفين ما يدل على القلة يتخلف التعادل معه، وحينئذ قد يذهب بالسامع إلى أن العدد مجازي غير محصور كما تقدم في قوله تعالى(سبعة أبحر).

وهذا وقد أشكل على بعض علماء اللغة هذا الوجه من التناسق فنظروا في الآية يتدبرونها وحاولوا أن يصلوا إلى وجه العلاقة بين مجيء (قروء) الدالة على الكثرة مع العدد (ثلاثة) ومما عرض لتلك الأقوال من علماء اللغة صاحب لسان العرب في مادة (قرء) فذكر أن الأصمعي قال: (جاء هذا على غير القياس، والقياس أن يقال (ثلاثة أقرؤ) لأنه لا يجوز أن يقال (ثلاثة فلوس) إنما يقال (ثلاثة أفلس).

ولا يخفى ما في قوله هذا من التجرؤ على نظم كتاب الله العزيز مما نربأ به عن الوقوع في مثله.

و كذلك وقف بعض علماء التفسير موقفه فقال البيضاوي في تفسيره (وكان القياس أن يذكر بصيغة القلة التي هي الأقراء)[23].

وتساءل الفخر الرازي كذلك عنها فقال: (لماذا جاء جمع الكثرة ههنا مع أن المراد هذه القروء الثلاثة وهي قليلة)، وأجاب قريبا من رأي الأصمعي فقال (لعل القروء كانت أكثر استعمالا في جمع قرء من الأقراء) [24]. ولو نظر إلى سنن كلام العرب في (التعادل بني القلة والكثرة) في طرفي الكلام لوجد معه الجواب الشافي.

---

(23) تفسير البيضاوي، ص 49.

(24) التفسير الكبير للفخر الرازي، ج 5، ص 87، وينظر: تفسير الكشاف للزمخشري، ج 1، ص 282.

هذه أمثلة مقتطفة اخترناها من أنواع الجموع المتناظرة وعرضنا تناسقها في سياق الكلام ونظمه وتتبعنا ما فيها على ضوء سنن العرب في التعادل والموازنة مما يتناسب مع دلالة المعنى المراد .

ولعلنا قد مهدنا به للباحثين لمواصلة ما بدأنا به في بيان أوجه الإعجاز البلاغي لآي الذكر الحكيم والله أعلم ، وهو الهادي للصواب .

The Plural and Its Semantics in Arabic Speech

prof. Abdul Wahab Mahmood Al Kuhla*

Abstract

This research is not for the purpose of studying of its subjects. To put differently, it can not be covered by several pages, but, instead of that, this subject that are comparable to this research.

This paper reveals the aspects of using the plural and revealing its consistency with the speech context , and the speaker purpose , especially , those in Holy Quran verses to unveil its rhetorical miraculous.

The significance of this study is owing to many considerations; one of whibh is that the rules are based upon speech according to the type of plural.

By this work , the way might have been paved to other scholars to complete what this paper has started with.

* Dept. of Arabic/ College of Eduation/ University of Slah-Aldeen.